الفصل الثانى

الإمام الثانى عشر .. والمهدى المنتظر

« نحن الشعار والأصحاب والخزنة
والأبواب ، ولا تُؤتَى البيوت إلا
من أبوابها ، فمَن أتاها من غير
أبوابها سُمِيَ سارقاً »

(على بن أبى طالب - نهج البلاغة)

يؤمن الشيعة الإمامية الإثنى عشرية - وهم المذهب الغالب فى إيران - بالإمامة ، أى الولاية العامة للأُمة فى أُمور الدين والدنيا ، كأُسٍ رئيسى من أُصول العقيدة وصلبها ، مع الأُسس الثلاثة الأُخرى : الأُلوهية ، والنُبوَّة ، والكتاب .

ويعتقدون أن علىّ بن أبى طالب رضى اللّه عنه هو وصى رسول اللّه ﷺ وخليفته من بعده نصاً ظاهراً ويقيناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين ، مستندين فى ذلك إلى أحاديث عن رسول اللّه ، رُوِيَت بطريقهم ومتأولين أحاديث رُوِيَت عن طريق أهل السُنَّة ، وأنه بـ « حديث الغدير » قد كمل الدين وتَمت الخلافة والنعمة .

وكانت خلافة أبى بكر رضى اللّه عنه بعد وفاة النبى عليه السلام بداية الخلاف الذى أدَّى إلى التشيع ، سياسياً بادىء الأمر ، ثم فُرقة دينية فيما بعد .

نسأل اللّه أن يجمعنا وإخوتنا الشيعة على خير دائماً فيما اتفقنا فيه ، وهو الأكثر الأعم والأشمل ، وأن يعذر بعضنا البعض فيما

اختلفنا فيه ، وهو القليل الذى لا يُخرج مسلماً من رابطة الإسلام الأغلى والأمنع .

ويعتقد الشيعة أن العترة الطاهرة من آل بيت النبى أعدالاً لكتاب اللّه لكونهم أحد الثَقلينَ اللّذين لن يفترقا حتى يَردا على الحوض ، وأنهم باب حطة من دخله غُفرَ له .

ويروون عن علىّ بن أبى طالب قوله : « نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب ، ولا تُؤتَى البيوت إلا من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سُمِىَ سارقاً » [١] .

ويقولون بعصمة أئمتهم المحددين بتسلسل التوارث ، وقد تلقوا عنهم كل ما يخص الاعتقاد والتشريع ، فى الأُصول والفروع .

وعندهم « أن المراد بأهل بيته مجموعهم من حيث المجموع باعتبار أئمتهم وليس المراد جميعهم على سبيل الاستغراق لأن هذه المنزلة ليست إلا لحُجج اللّه والقوّامين بأمره خاصة بحكم العقل والنقل » [٢] .

ولأن مسألة الإمامة بهذه الخطورة فهى غير خاضعة لبيعة أو انتخاب ، لكنها محدَّدة فى أشخاص بذواتهم ، محصورة فى علىٍّ والحسن والحسين وتسعة من أولاد الحسين .

أخرج محمد بن علىّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمى الملقب بالصدوق فى كتابه « إكمال الدين وإتمام النعمة » بسنده إلى الإمام الصادق عن أبيه عن جده قال : قال رسول اللّه ﷺ : « الأئمة بعدى إثنا عشر أولهم علىّ وآخرهم القائم ، هم خلفائى وأوصيائى » [٣] .

(١) المراجعات - الإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوى - دار الأندلس - بيروت ، ص ٤٦
(٢) المراجعات - الإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوى - دار الأندلس - بيروت ، ص ٥٣
(٣) إكمال الدين وإتمام النعمة - ابن بابويه القمى - عن المراجعات ص ٢٢٧

أخرج الصدوق فى « الإكمال » أيضاً بالإسناد إلى سلمان قال : « دخلتُ على النبى ﷺ فإذا الحسين بن على على فخذه وهو يلثم فاه ويقول : أنت سيد ابن سيد ، أنت إمام ابن إمام ، أخو إمام أبو الأئمة ، وأنت حُجة اللّه وابن حُجته ، وأبو حُجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم » [١] .

أخرج الصدوق فى « الإكمال » أيضاً عن علىّ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « الأئمة بعدى إثنا عشر أولهم أنت ياعلىّ ، وآخرهم القائم الذى يفتح اللّه عز وجل على يديه مشارق الأرض ومغاربها » [٢] .

والأئمة الإثنا عشر هم : علىّ بن أبى طالب ، الحسن بن علىّ ، الحسين بن علىّ ، علىّ زين العابدين ، محمد الباقر ، جعفر الصادق ، موسى الكاظم ، علىّ الرضا ، محمد الجواد ، علىّ الهادى ، الحسن العسكرى ، محمد المهدى [٣] .

والإمام الثانى عشر - محمد بن الحسن العسكرى - هو الإمام الغائب وهو المهدى المنتظر المولود فى شعبان ٢٥٥ هـ ، والذى اختفى فى سرداب بسامراء ، وهى حى لم يمت ، وسيظهر فيفتح اللّه على يديه مشارق الأرض ومغاربها ، ويملأ الدنيا عدلاً بعد أن مُلئَت ظُلماً وجُوراً .

هذه باختصار الفكرة العامة عن الإمامة والمهدى المنتظر عند الشيعة أخذناها من مصادرها الشيعية الإمامية .

لكن عقيدة « المهدى المنتظر » المرتبطة بـ « الإمام الثانى عشر » عند الشيعة ، وإن كانت ركناً جوهرياً من أُصول الدين عندهم ، يقابلها اعتقاد على نحو ما عند جمهور علماء السُنّة .

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة - ابن بابويه القمى - عن المراجعات ص ٢٢٨

(٢) إكمال الدين وإتمام النعمة - ابن بابويه القمى - عن المراجعات ص ٢٢٩

(٣) إكمال الدين وإتمام النعمة - ابن بابويه القمى - عن المراجعات بترتيب الشيعه الإثنى عشرية .

فقد وردت عن فكرة المهدى المنتظر ، الذى يظهر فى آخر الزمان أحاديث عن النبى عليه الصلاة والسلام ، وهى وإن لم ترو عن طريق البخارى ومسلم فقد رويت عن طريق الترمزى والنسائى وأبو داود[1] .

روى الترمذى والنسائى وأبو داود عن سنن أبو داود : « لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى ، يواطىء اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى ، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلِئَتْ جُوراً وظُلماً » .

وروى أبو داود : « وعن أبى سعيد رضى اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « المهدى منى أجلى الجبهة ، أقنى الأنف ، يملأ الأرض قِسطاً وعدلاً كما مُلِئَتْ ظُلماً وجُوراً ، ويملك سبع سنين » .

وروى الترمذى : « وعن أبى سعيد رضى اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ فى قصة المهدى قال : « فيجىء إليه الرجل فيقول : يا مهدى ؛ أعطنى أعطنى . قال : فيحثى له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله » .

وقد أُثبتت فكرة المهدى المنتظر فى كثير من كتب التراث كعلامة من أشراط الساعة ، وأنه سيظهر فى آخر الزمان بين الرُكن والمَقام ، ويحارب بالسيف ، ويقتل الدجال .

وعلى ذلك فالقول بأن عقيدة المهدى عند الشيعة هى التى أدت إلى ظهور البابية التى انبثقت منها البهائية قول غير صحيح . فكما عند الشيعة مهدى ، كذلك عند أهل السُنَّة .

وعلى مدى التاريخ الإسلامى كله ، وخاصة بعد صدور الإسلام والعصورالزاهرة ، وفى بيئات سُنِّية خالصة نبتت دعوات مهدوية وظهر مهديون كاذبون .

* * *

(١) ملحوظة : إن الأحاديث المروية عن المهدى عند أهل السُنَّة - كما أعتقد - هى أحاديث آحاد ، وليست شرطاً فى عقيدة المسلم ، بل ولا حتى تدخل ضمن نوافل عباداته .. بل وربما دخلت فى كتب رواة الحديث - غير البخارى ومسلم - من طرف الإخوة الشيعة .